إمكانية أخرى لإنكار القرآن الكريم لا وجود لها. لأن هذا الكتاب إن لم يكن وحيًا، فإنه عندئذ خداع؛ وإن كان خداعًا، فإن على الإنسان أن يتساءل: «فما مصدره؟ وفي أي جزء منه يقوم بخداعنا؟».

وطبعا فإن الإجابات الصحيحة على هذه التساؤلات تلقي الضوء على أصالة القرآن الكريم، وتسكت ادعاءات الكفار اللاذعة وغير القائمة على دليل.

ومن المؤكد أنه إذا استمر أولئك الناس بالإصرار على أن القرآن الكريم ما هو إلا خداع، فإنه يجب عليهم تقديم البرهان الذي يدعم ادعاءهم. فعبء إيجاد البرهان يقع على عاتقهم، وليس على عاتقنا! فلا يفترض من أحدهم أبدًا أن يقدم نظرية بدون حقائق كافية تعززها؛ لذا فأنا أقول لهم: «أروني خداعًا واحدًا!»

أروني أين يخدعني القرآن الكريم!

أروني ذلك، وإن لم تفعلوا، فلا تقولوا لي بأنه خداع!

٥- أستاذ الفيزياء عضو الأكاديمية الطبية الروسية

«وكيث مور» عالم الأجنة الشهير

دعيت مرة لحضور مؤتمر عقد للإعجاز في موسكو فكرهت في بادئ الأمر أن أحضره لأنه يعقد في بلد كانت هي عاصمة الكفر والإلحاد لأكثر من سبعين سنة وقلت في نفسي: ماذا يعلم هؤلاء الناس عن الله حتى ندعوهم إلى ما نادى به القرآن الكريم؟!

فقيل لي: لابد من الذهاب فإن الدعوة قد وجهت إلينا من قبل الأكاديمية الطبية الروسية. فذهبنا إلى موسكو وفي أثناء استعراض بعض الآيات الكونية وبالتحديد عند قول الله تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (السجدة: ٥).

وقف أحد العلماء المسلمين وقال: إذا كانت ألف سنة تساوي قدران من الزمان غير متكافئين دل ذلك علي اختلاف السرعة. ثم بدأ يحسب هذه السرعة فقال: ألف سنة... لابد وأن تكون ألف سنة قمرية لأن العرب لم يكونوا يعرفون السنة الشمسية والسنة القمرية اثنا عشر شهرًا قمريًا ومدة الشهر القمري هي مدار القمر حول الأرض، وهذا المدار محسوب بدقة بالغة، وهو ٢،٤ بليون كم.

فقال: ٢،٤ بليون مضروب في ١٢ وهو عدد شهور السنة ثم في ألف سنة، ثم يقسم هذا الناتج علي أربع وعشرين وهو عدد ساعات اليوم ثم علي ستين الدقائق ثم علي ستين الثواني. فتوصل هذا الرجل إلى سرعة أعلي من سرعة الضوء. فوقف أستاذ في الفيزياء وهو عضو في الأكاديمية الروسية وهو يقول:

لقد كنت أظنني قبل هذا المؤتمر من المبرزين في علم الفيزياء،وفي علم الضوء بالذات، فإذا بعلم أكبر من علمي بكثير. ولا أستطيع أن أعتذر عن تقصيري في معرفة هذا العلم إلا أن أعلن أمامكم جميعًا أني «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله». ثم تبعه في ذلك أربعة من المترجمين، الذين ما تحدثنا معهم علي الإطلاق وإنما كانوا قابعين في غرفهم الزجاجية يترجمون الحديث من العربية إلى الروسية والعكس، فجاءونا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

ليس هذا فحسب وإنما علمنا بعد ذلك أن التلفاز الروسي قد سجل هذه الحلقات وأذاعها كاملة فبلغنا أن أكثر من ٣٧ عالمًا من أشهر العلماء الروس قد أسلموا بمجرد مشاهدتهم لهذه الحلقات.

ليس هذا فحسب... وإنما كان معنا أيضًا «كيث مور» وهو من أشهر العلماء في علم الأجنة ويعرفه تقريبًا كل أطباء العالم، فهو له كتاب يدرس في معظم كليات الطب في العالم وقد ترجم هذا الكتاب لأكثر من ٢٥ لغة فهو صاحب الكتاب الشهير

(The Developing Human) فوقف هذا الرجل في وسط ذلك الجمع قائلًا:

«إن التعبيرات القرآنية عن مراحل تكون الجنين في الإنسان لتبلغ من الدقة والشمول ما لم يبلغه العلم الحديث، وهذا إن دل علي شيء فإنما يدل علي أن هذا القرآن لا يمكن أن يكون إلا كلام الله، وأن محمدًا رسول الله».

فقيل له: هل أنت مسلم؟!؟. **قال:** لا ولكني أشهد أن القرآن كلام الله وأن محمدًا مرسل من عند الله. **فقيل له:** إذًا فأنت مسلم، **قال:** أنا تحت ضغوط اجتماعية تحول دون إعلان إسلامي الآن، ولكن لا تتعجبوا إذا سمعتم يومًا أن «كيث مور» قد دخل الإسلام.ولقد وصلنا في العام الماضي أنه قد أعلن إسلامه فعلًا فلله الحمد والمنة.

من كتاب الذين هدي الله للدكتور زغلول النجار.

البروفيسور «كيث مور» من أكبر علماء التشريح والأجنة في العالم، في عام ١٩٨٤ استلم الجائزة الأكثر بروزًا قدّمت في حقل علم التشريح في كندا، جي. سي. بي. جائزة جرانت من الجمعية الكندية لاختصاصيي التشريح. وجّه العديد من الجمعيات الدولية، مثل الجمعية الكندية والأمريكية لاختصاصيي التشريح ومجلس اتحاد العلوم الحيوية.

٦- أستاذ التشريح «تاجاتات وعالم الجيولوجيا «ألفريد كرونير»

بدأت صلتنا بالبروفيسور تاجاتات تاجاسون عندما عرضنا عليه بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتصلة بمجال تخصصه في علم التشريح وبعد أن أجاب على تساؤلاتنا **قال:** نحن كذلك يوجد في كتبنا البوذية المقدسة أوصافًا لأطوار الجنين.

نحن في شوق لأن نقف على ما جاء في تلك الكتب. في لقائنا القادم.

في العام التالي عندما جاء ممتحنًا خارجيًا لطلاب كلية الطب بجامعة الملك عبد العزيز سألنا عما وعدنا به وفى أمانة علمية جديرة بالا حترام أجاب:

أقدم لكم اعتذاري عن معلوماتي السماعية لقد أجبتكم دون أن أتأكد من هذه المعلومات ولكنى بالرجوع إلى تلك الكتب لم أجد شيئًا حول ذلك الموضوع.

عندئذٍ قدمنا له محاضرة كان قد أعدها البرفيسور «كيث مور» أستاذ علم التشريح بجامعة «تورنتو» بكندا وعنوانها مطابقة علم الأجنة لما في القرآن والسنة وسألناه هل تعرف البروفيسور مور؟

فأجاب: بالطبع إنه من كبار العلماء المشهورين في هذا التخصص وهو مرجع عالمي وإني لمندهش مما سجله هنا في هذه المحاضرة.

ثم سألناه عددًا من الأسئلة في مجال تخصصه؛ كان من بينها ذلك السؤال المتعلق بالجلد:

هل هناك مرحلة ينعدم عندها الإحساس بألم الحرق؟؟!!

نعم إذا كان الحرق عميقًا ودمر عضو الإحساس بالألم.

حسنًا ما رأيك إذن أن القرآن الكريم الذي عند تاريخ نزوله على محمد ﷺ لأكثر من ألف وأربعمائة عام. قد أشار إلى تلك الحقيقة العلمية عندما ذكر الطريقة التي سيعاقب الله به الكافرين يوم القيامة حيث يقول:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ (النساء: ٥٦).

فالقرآن هنا يقرر أنه عندما ينضج الجلد يخلق الله للكفار جلدًا جديدًا كي يتجدد إحساسهم بالألم وذلك تأكيد من جانب القرآن على أن الأطراف العصبية التي تجعل الإنسان يشعر بالألم موجودة في الجلد.

هذا أمر يدعو للدهشة والغرابة حقيقة فتلك معرفة مبكرة جدًا عن مراكز الإحساس والأعصاب في الجلد ولا أدرى كيف ذكر قرآنكم هذا!!

ترى أيمكن أن تكون هذه المعلومات قد استقاها محمد نبي الإسلام من مصدر بشرى؟

بالطبع لا ففي ذلك الوقت لم تكن هناك معارف بشرية حول هذا الموضوع.

من أين إذن وكيف عرف ذلك.

المؤكد عندي هو استحالة المصدر البشرى ولكنى أسألكم أنتم من أين تلقى محمد ﷺ هذه المعلومات الدقيقة.

من عند الله.

الله!! ومن هو الله؟!!

وبعد أن شرحنا له المفهوم الإسلامي للفظ الجلالة الأعظم راقته تلك الرؤية وعاد إلى بلاده ليحاضر عن هذه الظاهرة القرآنية التي عايشها وتأثر بها حتى جاء موعد المؤتمر الطبي السعودي الثامن واستمع في الصالة الكبرى التي خصصت للإعجاز على مدى أربعة أيام لكثير من العلماء ولاسيما غير المسلمين يحاضرون عن ظاهرة الإعجاز العلمي.

وفى ختام جلسات المؤتمر وقف البروفيسور «تاجاتات تاجاسون» يعلن:

«بعد هذه الرحلة الممتعة والمثيرة فإني أؤمن أن كل ما ذكر في القرآن الكريم يمكن التدليل على صحته بالوسائل العلمية وحيث أن محمدًا نبي الإسلام كان أميًا إذن لابد أنه

قد تلقى معلومات عن طريق وحى من خالق عليم بكل شيء. وإنني أعتقد أنه حان الوقت لأن أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ».

﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (سبأ: ٦).

البروفيسور «تيجاتات تيجاسون» رئيس قسم علم التشريح في جامعة شيانك مي، وقد أدلى بشهادته بأن هذا الكلام لا يمكن أن يصدر من بشر وبعد ذلك نطق الشهادتين.

الخلاصة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (النساء: ٥٦).

إن شعور الإنسان بألم الاحتراق يزول بمجرد أن ينضج الجلد الخارجي، وذلك لأن الجلد إذا حرق بالنار وكان الحرق عميقًا دمر عضو الإحساس بالاحتراق.

ويقول الدكتور سالم الحمود أستاذ التشريح: «إن النهايات الحساسة في الجلد إذا دمرت بالحريق مثلا، فإن الإنسان يفقد إحساسه بالنار، وذلك لأن مركز الألم في المخ لا ينتبه لهذا الألم إلا بوجود النهايات الحساسة، فتأمل قوله تعالى السابق الذي يؤكد نفس الحقيقة».

وكانت الدهشة العجيبة للبروفيسور التاليندي: تاجاتات وهو من أشهر علماء التشريح لهذه الآية وبعد دراسته لمعجزات القرآن التي استمرت لمدة سنتين، وقف في أحد المؤتمرات يشرح كيف أن ما وصل إليه العلم الحديث موجود بدقائقه في كتاب الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -، واختتم كلمته قائلًا:

«إن هذا يثبت لي يقينًا أن آيات القرآن جاءت لمحمد ﷺ من الخالق العالم بكل شيء. وأرى أنه قد آن الوقت أن أعلن أنه: لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ، وقد أصبحت مسلمًا من الآن».

٧- العالم البروفسيور «ألفريد كرونير» من أشهر علماء الجيولوجيا في العالم

حضر مؤتمرًا جيولوجيًا في كلية علوم الأرض في جامعة الملك عبد العزيز... قلت له: هل عندكم حقائق أن جزيرة العرب كانت بساتين وأنهارًا، هذه الصحراء التي ترونها كانت قبل ذلك بساتين وحدائق فقال: نعم هذه مسألة معروفة عندنا... وحقيقة من الحقائق العلمية وعلماء الجيولوجيا يعرفونها.... لأنك إذا حفرت في أي منطقة تجد الآثار التي تدلك على أن هذه الأرض كانت مروجًا وأنهارًا، والأدلة كثيرة.... فقط لعلمكم منها قرية الفاو التي اكتشفت تحت رمال الربع الخالي... وهناك أدلة كثيرة في هذا.

قلت له: وهل عندك دليل على أن بلاد العرب ستعود مروجًا وأنهارًا؟.. قال: هذه مسألة حقيقية ثابتة نعرفها نحن الجيولوجيون ونقيسها ونحسبها، ونستطيع أن نقول بالتقريب متى يكون ذلك؟.. وهي مسألة ليست عنكم ببعيدة وهي قريبة.... قلت: لماذا؟ قال: لأننا درسنا تاريخ الأرض في الماضي فوجدنا أنها تمر بأحقاب متعددة من ضمن هذه الأحقاب المتعددة.... حقبة تسمى العصور الجليدية.

وما معنى العصر الجليدي؟

معناه: أن كمية من ماء البحر تتحول إلى ثلج وتتجمع في القطب المتجمد الشمالي ثم تزحف نحو الجنوب وعندما تزحف نحو الجنوب تغطي ما تحتها وتغير الطقس في الأرض، ومن ضمن تغيير الطقس تغيير يحدث في بلاد العرب، فيكون الطقس باردًا، وتكون بلاد العرب من أكثر بلاد العالم أمطارًا وأنهارًا.

وكنت أربط بين السيول والأمطار في منطقة أبها وبين تلك التي تحدث في شمال أوروبا وأنا أتأمل فيما يقول، قلت له: تأكد لنا هذا قال: نعم هذه حقيقة لا مفر منها!

قلت له: اسمع من أخبر محمدًا ﷺ بذلك، هذا كله مذكور في حديث رواه مسلم.

يقول ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا**» من قال لمحمد ﷺ أن أرض العرب كانت مروجًا وأنهارًا؟! ففكر وقال:

الرومان... فقلت له: ومن أخبره بأن أرض العرب ستعود مروجًا وأنهارًا... ففكر وفكر وقال: (فيه فوق!!) وهنا قلت له: اكتب.... فكتب بخطه لقد أدهشتني الحقائق العلمية التي رأيتها في القرآن والسنة ولم نتمكن من التدليل عليها إلا في الآونة الأخيرة بالطرق العلمية الحديثة، وهذا يدل على أن النبي محمدًا ﷺ لم يصل إلى هذا العلم إلا بوحي علوي...

يقول الزنداني: «أيها الإخوة الكرام: هذا موقف الملحد الكبير الألماني وقد تضاعف شعوري بمسئولية الأمة الإسلامية أمام دينها، وأنا أرى قيادات العالم الكبار ما أن تقوم لهم الحقائق حتى يسلموا.... ليس فقط يسلموا بل وينشروا ويكتبوا في كتبهم دون مبالاة، فقلت في نفسي: لو أن هناك عملا جادا من أمة الإسلام ومن الجامعات فلن تمر عشر سنوات إلا وثلث علماء الأرض في عشر سنوات أو خمس عشرة سنة من المسلمين».

والله هذا الألماني ما مر بيني وبينه سوى ساعتين ونصف ساعة حتى قال هذا كله... وهذا عملاق من عمالقة العلم. ويكتب هذا ويقره وهذا يدل على أن هناك علمًا واحدا وحقيقة واحدة وإلهًا واحدًا وأن هناك حركة وعملًا من المسلمين وجد.

إن بيدنا الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، إن هذا العصر عصر خضع فيه كل شيء للعلم، ولكننا في بدايات عصر خضوع العلم للإسلام وللقرآن الحق.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (فصلت: ٥٣).

البروفيسور «ألفريد كرونير» أحد أكبر جيولوجي العالم المشاهير، وهو أستاذ علم طبقت الأرض ورئيس قسم علم طبقات الأرض في معهد «جوسيينسيس» جامعة «يوهانز جوتينبيرج» مينز، ألمانيا، قال: من أين جاء محمد بهذا.... أعتقد أنه من شبه المستحيل بأنه كان يمكن أن يعرف حول هذه الأشياء مثل الأصل المشترك للكون، لأن العلماء اكتشفوا ذلك فقط ضمن السنوات القليلة الماضية، بالطرق التقنية المعقدة والمتقدمة جدًا.

٨- سليل الأسرة المالكة في بريطانيا يجد ملاذه في الإسلام

برغم مولد اللورد «هدلي» في بيت نصراني عريق، فإنه لم يشعر يومًا في قرارة نفسه بإيمان صادق نحو النصرانية، بل طالما راودته الشكوك في صحة التعاليم التي تروج لها الكنيسة، والطقوس التي يمارسها آباء الكنيسة في صلواتهم وأقداسهم، وطالما توقف بفكره عن أسرار الكنيسة السبعة.

إذ لم يستطع وهو الإنسان المثقف الواعي أن يهضم فكرة أكل جسد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ أو شرب دمه كما يتوهم النصارى وهم يأكلون خبز الكنيسة ويشربون نبيذها، كذلك لم يقتنع بفكرة فداء البشرية التي هي من أسس عقيدة الكنيسة... وشاء الله أن يسافر إلى منطقة «كشمير» التي يدين أهلها بالإسلام، وذلك من أجل مشروعات هندسية، حيث كان يعمل ضابطًا في الجيش البريطاني ومهندسًا...

وهناك أهدى إليه صديق ضابط بالجيش نسخة من المصحف الشريف حين لمس انبهاره بسلوكيات المسلمين، وكان هذا الإهداء بداية تعرفه الحقيقي على الإسلام، إذْ وجد في كتاب الله ما يوافق طبيعة نفسه ويلاءم روحه...

وجد أن مفهوم الألوهية كما جاء في القرآن الكريم يتوافق مع المنطق والفطرة، ويتميز ببساطة شديدة، كما لمس في الدين الإسلامي سمة التسامح، تلك السمة التي لم يشعر لها وجودًا بين أهله من النصارى الذين عُرِفُوا بتعصبهم ضد الديانات الأخرى، بل ضد بعضهم بعضًا، فالكاثوليك يتعصبون ضد البروتستانت، وهؤلاء بدورهم يتعصبون ضد الأرثوذكس، الذين لا يقلون عن الطائفتين السابقتين تعصبًا ضدهما، فكل فريق يزعم أن مذهبه هو الحق وما عداه باطل، ويسوق في سبيل ذلك من الحجج أسفارًا يناقض بعضُها بعضًا.

ولم يكن بوسع اللورد هدلي إلا أن يميل للإسلام بعد اطلاعه على ترجمة معاني القرآن الكريم، وما قرأه عن العقيدة الإسلامية، وأبطال الإسلام الأوائل الذين استطاعوا أن يصيروا أعظم قواد العالم، وبقوة عقيدتهم أسسوا حضارة عظيمة ازدهرت لقرون طويلة، في وقت كانت أوروبا ترزح تحت وطأة الجهل وطُغيان الباباوات والكرادلة. كما وجد اللورد هدلي في الشريعة الإسلامية وسيرة الرسول محمد ﷺ وصحابته ومن تلاهم من التابعين القدوة الحسنة التي تروّي روحه العطشى للحق، ولم يصعب عليه أن يدرك أن الإسلام عقيدة وسلوك.

وبرغم اقتناع اللورد هدلي بالإسلام فإنه ظل قرابة عشرين عامًا يكتم إسلامه لأسباب عائلية، حتى كتب له الله أن يعلنه على الملأ في حفل للجمعية الإسلامية في لندن... وكان مما قاله:

«إنني بإعلاني إسلامي الآن لم أَحِدْ مطلقًا عمَّا اعتقدته منذ عشرين سنة، ولمّا دعتني الجمعية الإسلامية لوليمتها سُرِرْتُ جدًا، لأتمكن من الذهاب إليهم وإخبارهم

بالتصاقي الشديد بدينهم، وأنا لم أهتم بعمل أي شيء لإظهار نبذي لعلاقتي بالكنيسة الإنكليزية التي نشأت في حجرها، كما أني لم أحفل بالرسميات في إعلان إسلامي، وإن كان هو الدين الذي أتمسك به الآن».

ومضى اللورد هدلي قائلًا: «إن عدم تسامح المتمسكين بالنصرانية كان أكبر سبب في خروجي عن جامعتهم، فإنك لا تسمع أحدًا من المسلمين يذم أحدًا من أتباع الأديان الأخرى، كما نسمع ذلك من النصارى بعضهم في بعض». واستطرد متحدثًا عن الجوانب العديدة التي شدته إلى الإسلام فقال:

«إن طهارة الإسلام وسهولته وبُعده عن الأهواء والمذاهب الكهنوتية ووضوح حجته كانت كل هذه الأمور أكبر ما أثَّرَ في نفسي، وقد رأيت في المسلمين من الاهتمام بدينهم والإخلاص له ما لم أَرَ مثله بين النصارى، فإن النصراني يحترم دينه عادة يوم الأحد، حتى إذا ما مضى يوم الأحد نسي دينه طول الأسبوع...

وأما المسلم فبعكس ذلك، يحب دينه دائمًا، سواء عنده أكان هو الجمعة أم غيره، ولا يفتر لحظة عن التفكير في كل عمل يكون فيه عبادة الله».

وبعد أن اعتنق اللورد هدلي الإسلام تسمى باسم «رحمة الله فاروق»... وكان لإشهار إسلامه صدًى واسع في بريطانيا نظريًا للَّقَبِ الكبير الذي يحمله، ولكونه سياسيًا بارزًا، وعضوًا قياديًا في مجلس اللوردات، حيث انتقدته الصحف البريطانية، واتهمته في صدق دينه مُحاوِلةً تفسير موضوع إشهار إسلامه بأنه لتحقيق مكسب رخيص، وهو أن يصبح ممثل المسلمين في مجالس اللوردات وزعيمًا لهم.. هذا ما دفع المهتدي الجديد «رحمة الله فاروق» إلى الرد على منتقديه بمقال عنوانه «لماذا أسلمت؟».

ومما جاء فيه قوله:

«نحن البريطانيين تعودنا أن نفخر بحبنا للإنصاف والعدل، ولكن أي ظلم أعظم

من أن نحكم كما يفعل أكثرنا بفساد الإسلام قبل أن نلم بشيء من عقائده، بل قبل أن نفهم معنى كلمة إسلام؟!.

ثم استرسل يقول: «من المحتمل أن بعض أصدقائي يتوهم أن المسلمين هم الذين أثروا فيَّ، ولكن هذا الوهم لا حقيقة له، فإن اعتقاداتي الحاضرة ليست إلا نتيجة تفكير قضيتُ فيه عدة سنين... ولا حاجة بي إلى القول بأني مُلِئْتُ سرورًا حينما وجدتُ نظرياتي ونتائجي متفقة تمام الاتفاق مع الدين الإسلامي».

ومن الجدير بالذكر أنه قد كان لإسلام «رحمة الله فاروق» أو اللورد هدلي أكبر الأثر في تقوية الحركة الإسلامية في بريطانيا، إذْ لم تكد تمر أشهر قليلة على إعلان إسلامه حتى اقتفى أثره أكثر من أربعمائة بريطاني وبريطانية، بعد ما استرعى انتباههم ما تَحَدَّثَ به عن محاسن الإسلام، فأقبلوا على قراءة الكتب الإسلامية، ودخلوا في دين الله أفواجًا.

ومن الطريف أن يترأس «رحمة الله فاروق» الجمعية البريطانية الإسلامية، ويتصدى لهجمات الحاقدين على الإسلام، وينبري بقلمه مدافعًا عن دين الله، رادًا الكيد إلى نحور الكائدين الذين يحاولون تصوير الإسلام بأنه دين الشهوات.

ومن ردوده على هؤلاء ما نشرته مجلة «إسلاميك رفيو» حيث قال:

«إن كل هذه المحاولات العقيمة والوسائل الدنيئة التي يقوم بها المُنَصِّرُونَ لتحقير شريعة النبي العظيم ﷺ، بالبذاءة وبالسفاسف لا تمسه بأذًى، ولا تغيّر عقيدة تابعيه قَيْدَ أنملة».

ومضى يرد المنصرين قائلًا: «لا عَجَبَ أن يكذب المنصرون وقد افتروا على الله كذبًا، فكم تظاهر اللص بالأمانة والداعر بالاستقامة والزنديق بالتدين، ولكن لا عجَبَ، فقد غاض من وجههم ماء الحياء، وقد قال نبي الإسلام ﷺ: «إذَا لَمْ تَسْتَحِ فاصنع ما شِئْتَ»: فلو كانوا يستحيون من أنفسهم أو على الأقل من الناس لما أقدموا على هذا الادعاء الباطل، والافتراء الواضح».

ولسنوات عديدة ظل «رحمة الله فاروق» يدافع من خلال كتاباته وخطبه عن الإسلام، ووضع عدة مؤلفات لعل أشهرها وأهمها كتابه «يقظة غربية على الإسلام».

ونال شهرة بين المسلمين داخل بريطانيا وخارجها فكان يُلقى بالترحاب في بلاد المسلمين أينما حل، ومن ذلك استقباله في مصر بهتافات الترحاب والمودة.

٩- إسلام «روبرت كرين» مستشار الرئيس «نيكسون»وإسلام أستاذ القانون اليهودي بسبب علم المواريث

د. فاروق عبد الحق (روبرت گرين) مستشار الرئيس الأمريكي نيكسون ونائب مدير الأمن القومي الأمريكي هو أحد مستشاري الرئيس السابق نيكسون، رجل معه دكتوراه في دراسة الحضارات وهو من الشخصيات البارزة هناك، عمل في الخارجية الأمريكية والبيت الأبيض ثلاثين عامًا وحين أراد نيكسون أن يكتب كتابه طلب من المخابرات الأمريكية ملفًا عن الأصولية الإسلامية فوافوه بملف كامل عن الأصولية الإسلامية ولم يكن عنده من الوقت ما يسمح له بقراءته فأحاله إلى روبرت كرين فقرأه فأسلم علي الفور.

مع العلم بأن الملف الذي قرأه والذي كان سببًا في إسلامه قد كتب بأيدي المخابرات الأمريكية وليس بأيدي إسلامية ومع ذلك فقد أسلم كونتين وهو الآن يكتب سلسلة من المقالات في دورية من أهم الدوريات الغربية.

إنه الإيمان الذي يقرع القلوب.

الدكتور «گرين» هو أحد كبار الخبراء السياسيين في أمريكا. وهو المؤسس والمنشئ لمركز الحضارة والتجديد في أمريكا. وبعد حصوله على شهادة الماجستير في الأنظمة القانونيّة الموازنة من جامعة هارفارد. وبعد تأسيسه لصحيفة «هارفارد» للقانون الدوليّ وتسلّمه منصب الرئيس الأوّل لجمعيّة هارفارد للقانون الدوليّ. عمل لمدّة عقد من الزمن فيما يسمّى بـ «المراكز الاستشاريّة لصنّاع السياسة في واشنطن».

وفي عام ١٩٦٢م شارك في تأسيس مركز الدراسات الإستراتيجيّة الدوليّة. وفي عام ١٩٦٣م وحتّى عام ١٩٦٨م كان أكبر مستشاري الرئيس السابق ريتشارد نيكسون في السياسة الخارجيّة. وفي عام ١٩٦٩م عيّنه نيكسون نائبًا لمدير مجلس الأمن القوميّ في البيت الأبيض. وفي عام ١٩٨١م عيّنه رونالد ريجان سفيرًا للولايات المتّحدة في الإمارات العربيّة.

بعد إسلامه، عمل الدكتور «گرين» كمدير للقسم القانوني للمجلس الإسلامي الأمريكي وهو الرئيس المؤسس لرابطة المحامين الأمريكيين المسلمين، وهو حاصل على دكتوراه في القانون عام ١٩٥٩م، ويتقن ست لغات حيّة. وهو متزوّج وأب لخمسة أولاد. نشر عشرة كتب وخمسين مقالة اختصاصيّة حول الأنظمة القانونيّة الموازنة والإستراتيجية العالميّة وإدارة المعلومات.

وعن كيفيّة اهتدائه إلى الإسلام، يقول: «في عام ١٩٨٠م، وعلى أثر انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران، ازداد اهتمام الناس في الغرب بالإسلام، ولم يكن اهتمامهم إعجابًا به وإنما اعتبروه تهديدًا لهم، لذلك تنادى العديد من صنّاع الفكر إلى عقد الندوات والمؤتمرات، حول هذا الموضوع.

وقد حضرت أحد المؤتمرات كي أرى ماهيّة هذه الدراسات والأطروحات المقدّمة، (في خريف ١٩٨٠م)، وكان مشاركًا في المؤتمر الكثير من قادة الفكر الإسلاميّ، ومنهم الدكتور حسن الترابيّ الذي تكلّم عدّة مرّات وشرح الإسلام تمامًا، كما كنتُ أبحث عنه، فأدركت أنّه متقدّم في أفكاره، ثمّ رأيته وهو يصلّي ويسجد، وكنتُ ضدّ مسألة السجود، لأنّ الإنسان في نظري لا يجب أن يسجد لأحد، ففي هذا إهانة له ولإنسانيته.

ولكنني أدركتُ أنّ الشيخ حسن الترابي ينحني لله ويسجد له، فالأولى أن أنحني وأسجد أيضًا، وهكذا فعلتُ ودخلتُ الإسلام، من يومها، على يد الدكتور حسن الترابيّ».

وعما كان يسكنه من هاجس ثم وجد في الإسلام إجابة له، يقول «گرين»: «كان والدي يعمل أستاذًا في جامعة هارفارد. وقد علّمني أن أهتم وأدافع عمّا هو صواب، وأن أحاول تجنّب الخطأ. وقد قضيتُ معظم وقتي في التحرّي عن العدل والعدالة قبل أن أصبح مسلمًا.

وفي الندوة التي جمعتني مع البروفسور (روجيه جارودي) في دمشق سمعته يتحدث ويهاجم الرأسمالية منذ كان شيوعيًا، وكلانا كان لديه نفس الهدف، وهو أن يدعم العدالة. وكلانا كان ضدّ التركيز على الثروة، لأنّ الاهتمام بجمع الثروة ليس بعدل. لقد اتّبع غارودي المبدأ الماركسي الذي يسعى لتحطيم الملكيّة، في حين أنّي كنتُ أعتبر الملكيّة مفتاحًا للحريّة.

لكن كلانا كان يرى أن الملكيّة تؤدّي في النهاية إلى الظلم وعدم انتشار العدل، وكلانا كان يدعو إلى نظام يدعو إلى إنتاج وإعطاء العدالة للجميع... لذلك وجدنا أنّ الإسلام هو الحلّ الوحيد، فهو الذي يحمل العدالة في مقاصد الشريعة وفي الكليّات والجزئيّات والضروريّات، وأنا كمحام كنتُ أسعى إلى مبادئ ليست من وضع البشر..».

ويواصل د. گرين حديثه متطرّقًا إلى أنّ الغرب أخذ هذه الفضيلة من الشرق أي المقاصد والغايات ثمّ وسّعها وحوّلها سعيًا وراء القوّة إلى مدنيّة كبيرة، وقد أدّت هذه القوّة إلى التحكّم بالعالم. وقد فقد الغرب هنا الدّوافع لحضارته ومدنيّته. وفي الواقع أنّ تحرّي العدالة ليس هدفًا في الغرب «لذلك بدأتُ أسعى وأفتش عن العدالة. والمفارقة إنني عندما ذهبتُ إلى جامعة هارفارد وحصلتُ على شهادتي في القانون، مكثتُ هناك ثلاث سنوات لم أسمع خلالها كلمة العدل ولا مرّة واحدة».

أمّا كيف تمّ اختياره مستشارًا للشؤون الخارجيّة الأميركيّة فيقول عن ذلك:

«في عام ١٩٦٣م كتبتُ مقالة طويلة عن الصّراع بين روسيا وأميركا، وقد قرأ الرئيس نيكسون هذه المقالة وهو في الطائرة. واستدعاني بعدها وكلّفني بوضع كتاب حول السياسة الخارجيّة الأمريكية وحول الشيوعيّة. ثمّ عملت مستشارًا للشؤون الخارجيّة منذ عام ١٩٦٨م، وكنتيجة لهذا الكتاب عُينتُ نائبًا للرئيس نيكسون للأمن القوميّ في البيت الأبيض، وكان هناك أربعة نوّاب للرئيس كنتُ أحدهم.

وفي عام ١٩٦٩م عندما استلم هنري كيسنجر وزارة الخارجية أنهى عملي بسبب ٢٥ ورقة كانت في كتابي تضمّنت موضوع فلسطين، وقد اقترحتُ يومها تشكيل دولتين: يهوديّة وفلسطينية، وقد بُحِثَ هذا الموضوع لسنوات عديدة على أعلى المستويات في دوائر الولايات المتحدة وفي البيت الأبيض. ولكنّ كيسنجر كان ضدّ كل إنسان يبحث في هذا الموضوع.. ووقف كيسنجر ضدّي في كلّ مجال دخلتُ أو عملتُ فيه، ثمّ عينني نيكسون نائبًا لإدارة شؤون إحدى الولايات في البيت الأبيض، كما عملتُ في مسألة (ووترغيت).

بعد فضيحة (ووتر جيت) وجدتُ أنّني لا أستطيع أن أؤثر على سياسة الولايات المتحدة بشكل فعّال من داخل الدولة. ورأيتُ أنّ الحلّ الوحيد لإزالة الظلم هو إنشاء حركة فكريّة تعود للمثاليّات في أمريكا، وتنادي باستعادة التراث الأمريكي الذي كاد أن يضيع... هذا التراث الذي ضاع. هذه المثل العُليا لم تعد موجودة في أمريكا. ولكنّي وجدتها في الإسلام. لذلك أرى أنّ الطريق إلى إنعاش التراث الأمريكي سيكون عن طريق الإسلام وهذا ما أقوم بالعمل عليه منذ إسلامي عام ١٩٨٠م».

«وعن هذه النقطة، وبشيء من التفصيل عاود صاحبنا، وفي المؤتمر الرابع والعشرين للاتحاد الإسلامي في أمريكا الشماليّة (المعروف اختصارًا بـ ISAN) والذي عُقِدَ في الفترة ما بين ٢٩/ ٨ الى ١/ ٩/ ١٩٨٦م بمدينة إنديانا بوليس، والذي خُصّص لمناقشة مستقبل الإسلام في أمريكا الشماليّة، إذ عرض د. فاروق عبد الحق (گرين) مقارنة للمقدّمات التي تحدّد توجّهات السياسة الخارجيّة الأمريكية والصورة المثلى التي قامت على أساسها، ولهذا ظلّت السياسة الأمريكية ثابتة لثبات هذه المقدّمات.. وبالنسبة للإسلام فإنّ السياسة تتركّز على العدل، ويمكن تعريف العدل بأنّه إرادة الله».

ومن هنا فإنه يرى أنّ الحاجة قائمة إلى صناع فكر إسلامي لكي يشرحوا للأمريكيين كيف يجب على أمريكا أن تدير سياستها الخارجيّة، وأن يبيّنوا أنّ العدل هو الطريق الطويل الذي يجب أن تسلكه أمريكا.

وفي الوقت الذي لا يبدي فيه د. فاروق قلقًا على بقاء الإسلام في أمريكا.. غير أنّه يجب التركيز على بناء فكر عال للمفهوم الإسلامي بين الشباب بشكل خاص. «يجب أن يفهموا العالم الحديث، ويجدوا ردودًا إسلامية لكل المشاكل المطروحة في المجتمع. ومن جانب آخر يجب أن ننمّي ونطوّر قيادة فكريّة بين المسلمين وفي كلّ حقول المعرفة.

ويكون الهدف من كلا الأمرين هو تدعيم العدل والعدالة في العالم.. وهذا يجعل الإسلام قوّة إيجابية من أجل الخير في العالم. وهذه الأولويّات تنطبق على الغرب كما تنطبق على العالم الإسلامي».

وللدكتور فاروق عبد الحقّ آراء وتصوّرات عميقة في أمات القضايا والتحدّيات التي تواجه المسلمين في عالم اليوم.. وهو حين يوجّه النقد إلى الغرب لنظرته المنحازة والقاصرة تجاه الإسلام، فإنه لا ينسى توجيه اللّوم إلى بعض المسلمين في الشّرق أو الغرب ممّن لا يفهمون التعاليم الإسلامية. ومن الصّعب كما يقول أن تفهم الغربيين

حقيقة الإسلام ؛لأنّ الكثير من المسلمين الذين يعيشون في الغرب لا يمارسون ولا يعيشون حسب تعاليم الإسلام.

وهذا أستاذ مصري للقانون يعمل بإحدى الجامعات الأمريكية... يقول: كنا في حوار قانوني، وكان معنا أحد أساتذة القانون من اليهود، فبدأ يتكلم ثم بدأ يخوض في الإسلام والمسلمين، فأردت أن أسكته فسألته: هل تعلم حجم قانون المواريث في الدستور الأمريكي؟!

قال: نعم، أكثر من ثمانية مجلدات. فقلت له: إذا جئتك بقانون للمواريث فيما لا يزيد على عشرة سطور، فهل تصدق أن الإسلام دين صحيح؟. قال: لا يمكن أن يكون هذا. فأتيت له بآيات المواريث من القرآن الكريم وقدمتها له فجاءني بعد عدة أيام يقول لي: لا يمكن لعقل بشري أن يحصي كل علاقات القربى بهذا الشمول الذي لا ينسىٰ أحدًا ثم يوزع عليهم الميراث بهذا العدل الذي لا يظلم أحدًا. ثم أسلم هذا الرجل.

فكانت آيات المواريث وحدها سبيلًا إلى اقتناع هذا الرجل اليهودي بالإسلام.

١٠- أستاذ اللاهوت السابق إبراهيم خليل فلوبوس

الأستاذ السابق بكلية اللاهوت الأستاذ السابق بكلية اللاهوت الإنجيلية (إبراهيم خليل فلوبوس) واحد من الملايين الذين انقادوا لما وجدوا عليه آباءهم من غير بني الإسلام... تنشأ في الكنيسة... وترقى في مدارس اللاهوت... وتبوأ مكانة مرموقة في سلم التنصير... وبأنامل يديه خط عصارة خبرته الطويلة عدة مئات من الصفحات رسالة للماجستير تحت عنوان: (كيف ندمر الإسلام بالمسلمين)؟!

في علم اللاهوت كان «فلوبوس» متخصصًا لا يجارى... وفي منظار «الناسوت» كان ابن الكنيسة الإنجيلية الأمريكية يتيه خيلاء، ولأسباب القوة والمتعة والحماية المتوفرة... ما كان «إبراهيم» يقيم لعلماء الأزهر، - وقد شفهم شظف العيش - أي وزن أو احترام!

لكن انتفاضة الزيف لم تلبث فجأة أن خبت... وضلالات التحريف الإنجيلي والتخريف التوراتي انصدعت على غير ميعاد... وتساقطت إذ ذاك غشاة الوهم، وتفتحت بصيرة الفطرة فكان لإبراهيم خليل فلوبوس وقد خطا عتبات الأربعين يوم الخامس والعشرين من ٥٩ ـ ميلادًا جديدًا.

مع الأستاذ إبراهيم خليل أحمد.... داعية اليوم كان هذا اللقاء... وعبر دهاليز الضلالة والزيف نحو عالم الحق والهداية والنور كان هذا الحوار.

- كيف كانت رحلة الهداية التي أوصلتك شاطئ الإيمان والإسلام، ومن أين كانت البداية؟ في مدينة الإسكندرية وفي الثالث عشر من يناير عام ١٩١٩ كان مولدي، نشأت نشأة نصرانية ملتزمة وتهذبت في مدارس الإرسالية الأمريكية، وتصادف وصولي مرحلة (الثقافة) المدرسية مع اندلاع الحرب العالمية الثانية، وتعرض مدينة الإسكندرية لأهوال قصف الطائرات... فاضطررنا للهجرة إلى أسيوط حيث استأنفت في كليتها التعليم الداخلي وحصلت على الدبلوم عام ٤١ / ١٩٤٢ وسرعان ما تفتحت أمامي سبل العمل فالتحقت بالقوات الأمريكية من عام ٤٢ وحتى عام ١٩٤٤م.

- ما طبيعة هذا العمل وكيف حصلت عليه؟

كان للقوات الأمريكية وقتذاك معامل كيماوية لتحليل فلزات المعادن التي تشكل هياكل الطائرات التي تسقط من أجل معرفة تراكيبها ونوعياتها، وبحكم ثقافتي في كلية أسيوط ولتمكني من اللغة الإنكليزية ولأن الأمريكان كانوا يهتمون اهتمامًا بالغًا بالخريجين ويستوعبونهم في شركاتهم فقد أمضيت في هذا العمل سنتين...

لكن أخبار الحرب والنكبات دفعتني لأن أنظر إلى العالم نظرة أعمق قادتني للاتجاه إلى دعوة السلام وإلى الكنيسة.... التي كانت ترصد رغباتي وتؤجج توجهاتي... فالتحقت بكلية اللاهوت سنة ١٩٤٥م وأمضيت فيها ثلاث سنين.

- ما هي الخطوط العامة لمنهج الكلية وأين موقع الإسلام فيه؟

في الثمانية أشهر الأولى كنا ندرس دراسات نظرية... يقدم الأستاذ المحاضرة على شكل نقاط رئيسية، ونحن علينا أن نكمل البحث من المكتبة وكان علينا أن ندرس اللغات الثلاث: اليونانية والآرامية والعبرية إضافة إلى اللغة العربية كأساس والإنكليزية كلغة ثانية... بعد ذلك درسنا مقدمات العهد القديم والجديد، والتفاسير والشروحات وتاريخ الكنيسة، ثم تاريخ الحركة التنصيرية وعلاقتها بالمسلمين، وهنا نبدأ دراسة القرآن الكريم والأحاديث النبوية، ونتجه للتركيز على الفرق التي خرجت عن الإسلام أمثال الإسماعيلية، والعلوية، والقاديانية، والبهائية...

وبالطبع كانت العناية بالطلاب شديدة ويكفي أن أذكر بأننا كنا نحو ١٢ طالبًا وُكّل بتدريسنا ١٢ أستاذًا أمريكيًا و٧ آخرين مصريين.

- هذه الدراسات عن الإسلام وعن الفرق... هل كانت للاطلاع العلمي وحسب أم أن هدفًا آخر كان وراءها؟

في الواقع كنا نؤسس على هذه الدراسات حواراتنا المستقبلية مع المسلمين ونستخدم معرفتنا لنحارب القرآن بالقرآن... والإسلام بالنقاط السوداء في تاريخ المسلمين! كنا نحاور الأزهريين وأبناء الإسلام بالقرآن لنفتنهم، فنستخدم الآيات مبتورة تبتعد عن سياق النص ونخدم بهذه المغالطة أهدافنا، وهناك كتب لدينا في هذا الموضوع أهمها كتاب «الهداية» من ٤ أجزاء و«مصدر الإسلام» إضافة إلى استعانتنا واستفادتنا من كتابات عملاء الاستشراق أمثال طه حسين الذي استفادت الكنيسة من كتابه «الشعر الجاهلي» مائة في المائة، وكان طلاب كلية اللاهوت يعتبرونه من الكتب الأساسية لتدريس مادة الإسلام!

وعلى هذا المنهج كانت رسالتي في الماجستير تحت عنوان «كيف ندمر الإسلام بالمسلمين» سنة ٥٢ والتي أمضيت ٤ سنوات في إعدادها من خلال الممارسة العملية للوعظ والتنصير بين المسلمين من بعد تخرجي عام ٤٨.

-كيف إذًا حدث الانقلاب فيك.... ومتى اتجهت لاعتناق الإسلام؟

كانت لي مثلما ذكرت صولات وجولات تحت لواء الحركة التنصيرية الأمريكية، ومن خلال الاحتكاك الطويل، ومن بعد الاطلاع المباشر على خفاياهم تأكد لي أن المنصرين في مصر ما جاءوا لبثّ الدين وإنما لمساندة الاستعمار والتجسس على البلاد!

- وكيف؟

-الشواهد كثيرة، وفي أي مسألة من المسائل، فإذا كانت البلد تستعد للانتفاضة على الظلم كانت الكنيسة أول من تدرك ذلك؛ لأن القبطي والمسلم يعيشان على أرض واحدة، ويوم يتأوه المسلم سرعان ما يسمع النصراني تأوهاته فيوصلها إلينا لنقوم بتحليلها وترجمتها بدورنا، ومن جانب آخر كان رعايا الكنيسة في القوات المسلحة أداة مباشرة لنقل المعلومات العسكرية وأسرارها، وعن طريق المراكز التنصيرية التابعة لأمريكا والتي تتمتع بالرعاية وبالحماية الأمريكية كانت تدار حرب التجسس.

ولك أن تعلم هنا أن النصراني في مصر له جنسيتان وانتماءان: انتماؤه للوطن الذي ولد فيه وهو انتماء مدني تُعبر عنه جنسيته المصرية، وانتماء ديني أقوى تمثله الجنسية النصرانية. فهو يحس في أوروبا وفي أمريكا حصنًا وبالدرجة الأولى، بينما يشعر النصارى في مصر أنهم غرباء! تمامًا كالانتماء الإسرائيلي الذي يعتبر انتماءه بالروح إلى أرض أورشليم انتماء دينيًا وانتماءه إلى الوطن الذي ولد فيه انتماء مدنيًا وحسب!

ولذلك قام مخطط المنصرين والكنيسة على جعل مصر تدور في فلك الاستعمار فلا تستطيع أن تعيش بعيدًا عنه، الأمر الذي جعلني أشعر بمصريتي وأحس أن هؤلاء

أجانب عني وأن جاري المسلم أقرب إلى منهم بالفعل... فبدأت أتسامح... عفوًا أقول أتسامح وأعني أن أقرأ القرآن بصورة تختلف عما كنت أقرؤه سابقًا وفي شهر يونيو تقريبًا عام ١٩٥٥م استمعت إلى قول الله سبحانه:

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ (الجن: ١-٢).

هذه الآية الكريمة من الغريب أنها رسخت في القلب، ولما رجعت إلى البيت سارعت إلى المصحف وأمسكته وأنا في دهشة من هذه السورة، كيف؟

إن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الحشر: ٢١).

إبراهيم خليل الذي كان إلى عهد قريب يحارب الإسلام ويقيم الحجج من القرآن والسنة ومن الفرق الخارجة عن الإسلام لحرب الإسلام.... يتحول إلى إنسان رقيق يتناول القرآن الكريم بوقار وإجلال.... فكأن عيني رُفعت عنهما غشاوة وبصري صار حديدًا.... لأرى ما لا يرى.... وأحس إشراقات الله تعالى نورًا يتلألأ بين السطور جعلتني أعكف على قراءة كتاب الله من قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

وفي سورة الصف: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الصف: ٦).

إذًا فالقرآن الكريم يؤكد أن هناك تنبؤات في التوراة وفي الإنجيل عن النبي محمد ﷺ ومن هنا بدأت ولعدة سنوات دراسة هذه التنبؤات ووجدتها حقيقة لم يمسها التبديل والتغيير، لأن بني إسرائيل ظنوا أنها لن تخرج عن دائرتهم... وعلى سبيل المثال جاء في «سفر التثنية» وهو الكتاب الخامس من كتب التوراة «أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به».

توقفت أولًا عند كلمة (إخوتهم) وتساءلت: هل المقصود هنا من بني إسرائيل؟ لو كان كذلك لقال (من أنفسهم) أما وقد قال: (من وسط إخوتهم)، فالمراد بها أبناء العمومة، ففي سفر التثنية إصحاح ٢ عدد ٤ يقول الله لسيدنا موسى عليه السلام: (أنتم مارون بنجم إخوتكم بني عيسو...) و(عيسو) هذا الذي نقول عنه في الإسلام (العيس) هو شقيق يعقوب عليه السلام، فأبناؤه أبناء عمومة لبني إسرائيل، ومع ذلك قال: (إخوتكم) وكذلك أبناء (إسحق) وأبناء (إسماعيل) هم أبناء عمومة، لأن (إسحق) شقيق (إسماعيل) عليهما السلام ومن (إسحق) سلالة بني إسرائيل، ومن (إسماعيل) كان (قيدار) ومن سلالته كان سيدنا محمد ﷺ، وهذا الفرع الذي أراد بنو إسرائيل إسقاطه وهو الذي أكدته التوراة حين قالت (من وسط إخوتهم) أي من أبناء عمومتهم.

وتوقفت بعد ذلك عند لفظة (مثلك) ووضعت الأنبياء الثلاثة: موسى، وعيسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام للمقابلة فوجدت أن عيسى عليه السلام مختلف تمام الاختلاف عن موسى وعن محمد عليهما الصلاة والسلام، وفقًا للعقيدة النصرانية ذاتها والتي نرفضها بالطبع، فهو الإله المتجسد، وهو ابن الله حقيقة، وهو الأقنوم الثاني في الثالوث، وهو الذي مات على الصليب... أما موسى عليه السلام فكان عبد الله، وموسى كان رجلًا، وكان نبيًا، ومات ميتة طبيعية ودفن في قبر كباقي الناس وكذلك سيدنا رسول الله محمد ﷺ، وإذًا فالتماثل إنما ينطبق على محمد ﷺ، بينما تتأكد المغايرة بين المسيح وموسى عليهما السلام ووفقًا للعقيدة النصرانية ذاتها!

فإذا مضينا إلى بقية العبارة: (وأجعل كلامي في فمه...) ثم بحثنا في حياة محمد ﷺ فوجدناه أميًا لا يقرأ ولا يكتب، ثم لم يلبث أن نطق بالقرآن الكريم المعجزة فجأة يوم أن بلغ الأربعين... وإذا عدنا إلى نبوءة أخرى في التوراة سفر أشعيا إصحاح ٢٩ تقول: «أو يرفع الكتاب لمن لا يعرف القراءة ولا الكتابة ويقول له اقرأ، يقول ما أنا بقارئ...»، لوجدنا تطابقًا كاملًا بين هاتين النبوءتين وبين حادثة نزول جبريل بالوحي على رسول الله في غار حراء، ونزول الآيات الخمس الأولى من سورة العلق: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ (العَلَق: ١-٥).

- هذا عن التوراة، فماذا عن الإنجيل وأنت الذي كنت تدين به؟

إذا استثنينا نبوءات برنابا الواضحة والصريحة ببعثة محمد ﷺ بالاسم، وذلك لعدم اعتراف الكنيسة بهذا الإنجيل أصلًا، فإن المسيح عليه السلام تنبأ في إنجيل يوحنا تسع نبوءات، و «البرقليط» الذي بشر به «يوحنا» مرات عديدة ... هذه الكلمة لها خمسة معانٍ: المعزّي، والشفيع، والمحامي، والمحمد، والمحمود، وأي من هذه المعاني ينطبق على سيدنا رسول الله ﷺ تمام الانطباق فهو المعزّي المواسي للجماعة التي على الإيمان وعلى الحق من بعد الضياع والهبوط، وهو المحامي والمدافع عن عيسى ابن مريم عليه السلام وعن كل الأنبياء والرسل بعدما شوه اليهود والنصارى صورتهم وحرفوا ما أتوا به وهو الإسلام...

ولهذا جاء في إنجيل يوحنا إصحاح ١٤ عدد ١٦ و١٧ (أنا أصلي إلى الله ليعطيكم معزيًا آخر ليمكث معكم إلى الأبد روح الحق)... وقال في نبوءة أخرى إصحاح ١٦ عدد ١٣ـ ١٤ (وأما متى جاء ذاك الروح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به. ويخبركم بأمور آتية، ذاك يمجدني) وهذا مصداق

قول الله - تبارك وتعالى -: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (الكهف: ١١٠).

- كيف كانت لحظة إعلانك للإسلام وكيف كانت بداية الحياة الجديدة في رحاب الهداية والحق؟

بعد أن وصلت إلى اليقين وتلمست الحقائق بيدي كان عليّ أن أتحدث مع أقرب الناس إلى زوجتي، لكن الحديث تسرب عن طريقها إلى الإرسالية للأسف، وسرعان ما تلقفوني ونقلوني إلى المستشفى وتحت مراقبة صارمة مدعين أني مختل العقل!

ولأربعة شهور تلت عشت معاناة شديدة جدًا، ففرقوا بيني وبين زوجتي وأولادي، وصادروا مكتبتي وكانت تضم أمات الكتب والموسوعات.... حتى اسمي كعضو في مجمع أسيوط، وفي مؤتمر (سنودس) شُطب، وضاع ملفي كحامل ماجستير من كلية اللاهوت ... ومن المفارقات العجيبة أن الإنكليز في هذه الآونة كانوا قد خلعوا الملك طلال من عرش الأردن بتهمة الجنون ... فخشيت أن يحدث معي الأمر ذاته... لذلك التزمت الهدوء والمصابرة وصمدت حتى أطلق سراحي، فقدمت استقالتي من الخدمة الدينية واتجهت للعمل في شركة أمريكية للأدوات المكتبية لكن الرقابة هناك كانت عنيفة جدًا.

فالكنيسة لا تترك أحدًا من أبنائها يخرج عليها ويسلم، إما أن يقتلوه أو يدسوا عليه الدسائس ليحطموا حياته... وفي المقابل لم يكن المجتمع المسلم حينذاك ليقدر على مساعدتي ... فحقبة الخمسينات والستينات كما تعلمون كانت تصفية للإخوان المسلمين، وكان الانتماء للإسلام والدفاع عنه حينذاك لا يعني إلا الضياع! ولذلك كان عليّ أن أكافح قدر استطاعتي، فبدأت العمل التجاري، وأنشأت مكتبًا تجاريًا هرعت بمجرد اكتماله للإبراق إلى (د. جون تومسون) رئيس الإرسالية الأمريكية حينذاك.

وكان التاريخ هو الخامس والعشرين من ديسمبر ١٩٥٩ والذي يوافق الكريسماس، وكان نص البرقية: (آمنت بالله الواحد الأحد، وبمحمد نبيًا ورسولًا) لكن إشهار اعتناقي الرسمي للإسلام كان يفترض عليّ وفق الإجراءات القانونية أن ألتقي بلجنة من الجنسية التي أنا منها لمراجعتي ومناقشتي.

وفي الوقت الذي رفضت جميع الشركات الأوربية والأمريكية التعامل معي تشكلت اللجنة المعنية من سبعة قساوسة بدرجة الدكتوراه... خاطبوني بالتهديد والوعيد أكثر من مناقشتي! وبالفعل تعرضت للطرد من شقتي لأنني تأخرت شهرين أو ثلاثة عن دفع الإيجار واستمرت الكنيسة تدس على الدسائس أينما اتجهت... وانقطعت أسباب تجارتي... لكنني مضيت على الحق الذي اعتنقته... إلى أن قدر الله أن تبلغ أخباري وزير الأوقاف حينذاك عبد الله طعيمة، والذي استدعاني لمقابلته وطلب مني بحضور الأستاذ الغزالي المساهمة في العمل الإسلامي بوظيفة سكرتير لجنة الخبراء في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية فكنت في منتهى السعادة في بادئ الأمر.

لكن الجو الذي انتقلت إليه كان وللأسف مسمومًا، فالشباب يدربون على التجسس بدل أن يتجهوا للعلم! والموظفون مشغولون بتعليمات (منظمة الشباب) عن كل مهامهم الوظيفية وكان التجسس على الموظفين، وعلى المديرين، وعلى وكلاء الوزارة؛ حتى يتمكن الحاكم من أن يمسك هؤلاء جميعًا بيد من حديد!

ولكم تركت أشيائي منظمة كلها في درج مكتبي لأجدها في اليوم الثاني مبعثرة! وعلى هذه الصورة مضت الأيام وأراد الله - سبحانه - أن يأتي د. محمد البهي وزيرًا للأوقاف بعد طعيمة الجرف. وكان د.البهي قد تربى تربية ألمانية منضبطة، لكن توفيق عويضة سكرتير المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية وأحد ضباط الصف الثاني للثورة تصدى له... وحدث أن استدعاني د. البهي في يوم من الأيام بعدما صدر كتابي:

(المستشرقون والمنصرون في العالم العربي والإسلامي) وأحب أن يتعرف عليّ.... فترامى الخبر إلى توفيق عويضة واعتقد أنني من معسكر د. البهي والأستاذ الغزالي...

ووجدت نفسي فجأة أتلقى الإهانة من مدير مكتبه رجاء القاضي وهو يقول لي: اتفضل على الوزارة التي تحميك! خرجت والدموع في عيني، وقد وجدتهم صادروا كتبي الخاصة من مكتبي ولم يبقوا لي إلا شيئًا بسيطًا حملته

ورجعت إلى الوزارة... وهناك اشتغلت كاتب وارد بوساطة!! فكان يوم خروجي على المعاش بتاريخ ١٢ / ١ / ١٩٧٩ وقد بلغت الستين، ومن ذلك اليوم بدأ إبراهيم خليل يتبوأ مركزه كداعية إسلامي، وكان أول ما نصرني الله به أن التقيت مع الدكتور جميل غازي رَحِمَهُ اللَّهُ بـ ١٣ قسيسًا بالسودان في مناظرة مفتوحة انتهت باعتناقهم الإسلام جميعًا وهؤلاء كانوا سبب خير وهداية لغرب السودان حيث دخل الألوف من الوثنيين وغيرهم دين الله على أيديهم.

في الختام نشكركم وندعو المولى أن يأخذ بالأيادي المخلصة إلى ما فيه خير أمة الإسلام، وجزاكم الله خيرًا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وهذا ما نشرته مجلة الدعوة عنه في أكتوبر ١٩٧٦:

أستاذ اللاهوت المسئول عن تنصير قطاع من مصر:

كان يعمل راعي الكنيسة الإنجيلية وأستاذ العقائد واللاهوت بكلية اللاهوت بأسيوط حتى عام ١٩٥٣، ثم سكرتيرًا عامًا للإرسالية الألمانية السويسرية بأسوان، ومبشرًا بين المسلمين ما بين المحافظات من أسيوط إلى أسوان حتى عام ١٩٥٥.... حصل على المؤهلات المتخصصة في اللاهوت، فحصل على دبلوم كلية اللاهوت الإنجيلية بالقاهرة عام ١٩٤٨، ثم ماجستير في الفلسفة و اللاهوت من جامعة «برنستون» بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٢.

يتحدث «إبراهيم خليل أحمد» عن قصة دخوله الإسلام فيقول:

«في إحدى الأمسيات من عام ١٩٥٥ سمعت القرآن مذاعًا بالمذياع، و سمعت في قوله تعالى:

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ (الجن: ١٢).

كانت هاتان الآيتان بمثابة الشعلة المقدسة التي أضاءت ذهني وقلبي للبحث عن الحقيقة... في تلك الأمسية عكفت على قراءة القرآن حتى أشرقت شمس النهار، و كأن آيات القرآن نورٌ يتلألأ، و كأنني أعيش في هالة من النور... ثم قرأت مرة ثانية فثالثة فرابعة حتى وجدت قوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(الأعراف: ١٥٧).

من هذه الآية قررت أن أقوم بدراسة متحررة للكتاب المقدس، وقررت الاستقالة من عملي كقسيس وسكرتير عام للإرساليات الأمريكية بأسوان.

ولما نفذت قراري تآمر عليّ مجموعة أطباء و أشاعوا أنني مختل العقل، فصبرت وصمدت بكل ثقة في الله، فسافرت إلى القاهرة حيث عملت بشركة للمبيعات «استاندرد ستاشينري»، وفي أثناء عملي بها طلب مني مدير الشركة طبع تفسير جزء عم باللغة الإنكليزية، فتعهدت له بإنجاز هذا العمل، و كان يظنني مسلمًا، وحمدت الله أنه لم يفطن لمسيحيتي، فكانت بالنسبة لي دراسة إسلامية متحررة من ثياب الدبلوماسية حتى

شرح الله صدري للإسلام، ووجدت أنه لابد من الاستقالة من العمل كخطوة لإعلان إسلامي، وفعلًا قدمت استقالتي في عام ١٩٥٩ و أنشأت مكتبًا تجاريًا و نجحت في عملي الجديد.

وفي ٢٥ ديسمبر عام ١٩٥٩ أرسلت برقية للإرسالية الأمريكية بمصر الجديدة بأنني آمنت بالله الواحد الأحد و بمحمد نبيًا ورسولًا، ثم قدمت طلبًا إلى المحافظة للسير في الإجراءات الرسمية.. وتم تغيير اسمي من «إبراهيم خليل فيلبس» إلى «إبراهيم خليل أحمد»، وتضمن القرار تغيير أسماء أولادي على النحو التالي: «إسحاق إلى أسامة، وصموئيل إلى جمال، وماجدة إلى نجوى».

ثم يلتقط أنفاسه ليعاود سرد قصته ورحلته للإيمان بالإسلام، فيقول عن المتاعب التي تعرض لها:

«فارقتني زوجتي بعد أن استنكرت عليّ وعلى أولادي الإسلام، كما قررت البيوتات الأجنبية التي تتعامل في الأدوات المكتبية ومهمات المكاتب عدم التعامل معي، ومن ثم أغلقت مكتبي التجاري، واشتغلت كاتبًا بشركة بـ ١٥ جنيهًا شهريًا بعد أن كان دخلي ٨٠ جنيهًا.... وفي هذه الأثناء درست السيرة النبوية، وكانت دراستها لي عزاء ورحمة.. ولكن حتى هذه الوظيفة المتواضعة لم أستمر فيها، فقد استطاع العملاء الأمريكان أن يوغروا الشركة ضدي حتى فصلتني، وظللت بعدها ثلاثة أشهر بلا عمل حتى عينت في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ذلك إثر محاضرة قد ألقيتها وكان عنوانها لماذا أسلمت؟».

ثم يضحك بمرارة و سخرية و هو يقول: «لقد تولت الكنيسة إثارة الجهات المسئولة ضدي، حتى أن وزارتي الأوقاف و الداخلية طلبتا مني أن أكف عن إلقاء المحاضرات وإلا تعرضت لتطبيق قانون الوحدة الوطنية متهمًا بالشغب وإثارة الفتن،

وذلك بعد أن قمت بإلقاء العديد من المحاضرات في علم الأديان الموازن بالمساجد في الإسكندرية والمحلة الكبرى وأسيوط وأسوان وغيرها من المحافظات، فقد اهتزت الكنيسة لهذه المحاضرات بعد أن علمت أن كثيرًا من الشباب النصراني قد اعتنق الإسلام».

ثم يصمت في أسى ليقول بعدها: «هذا الاختناق دفعني دفعًا إلى أن أقرر الهجرة إلى المملكة العربية السعودية حيث أضع كل خبراتي في خدمة كلية الدعوة و أصول الدين».

ثم يعود مستدركًا و موضحًا لما سبق أن أشار إليه عن أسباب اعتناقه للإسلام، فيقول:

«إن الإيمان لابد أن ينبع من القلب أولًا، و الواقع أن إيماني بالإسلام تسلل إلى قلبي خلال فترات طويلة كنت دائمًا أقرأ القرآن الكريم و أقرأ تاريخ الرسول الكريم وأحاول أن أجد أساسًا واحدًا يمكن أن يقنعني أن محمدًا هذا الإنسان الأمي الفقير البسيط يستطيع وحده أن يحدث كل تلك الثورة التي غيرت تاريخ العالم و لا تزال».

استوقفني كثيرًا نظام التوحيد في الإسلام و هو من أبرز معالم الإسلام: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ (الإخلاص: ١-٢).

و يرفع رأسه متأملًا في السماء و يقول: «نعم... التوحيد يجعلني عبدًا لله وحده، ولست عبدًا لأي إنسان.... التوحيد هنا يحرر الإنسان ويجعله غير خاضع لأي إنسان، وتلك هي الحرية الحقيقية، فلا عبودية إلا لله وحده... عظيم جدًا نظام الغفران في الإسلام، فالقاعدة الأساسية للإيمان تقوم على الصلة المباشرة بين العبد وربه، فالإنسان في الإسلام يتوب إلى الله وحده، لا وجود لوسطاء، ولا لصكوك الغفران أو كراسي الاعتراف ؛ لأن العلاقة مباشرة بين الإنسان و ربه».

ويختتم كلامه وقد انسابت تعابيره رقراقةً: «لا تعلم كم شعرت براحة نفسية عميقة و أنا أقرأ القرآن الكريم فأقف طويلًا عند الآية الكريمة: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (الحشر: ٢١).

كذا الآية الكريمة: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (المائدة: ٨١-٨٢).

لذلك كله اتخذت قراري بإشهار إسلامي، بل عليّ القيام بالدعوة للدين الإسلامي الذي كنت من أشد أعدائه، يكفي أنني لم أدرس الإسلام في البداية إلا لكي أعرف كيف أطعنه و أحاربه، ولكن النتيجة كانت عكسية فبدأ موقفي يهتز وبدأت أشعر بصراع داخلي بيني وبين نفسي، واكتشفت أن ما كنت أبشر به وأقوله للناس كله زيف وكذب».

١١- قصة إسلام القس المصري هلال مسيحه

الاسم: القس إسحق هلال مسيحه.

المهنة: راعي كنيسة المثال المسيحي ورئيس فخري لجمعيات خلاص النفوس المصرية بإفريقيا وغرب آسيا.

مواليد: ٣/ ٥/ ١٩٥٣ المنيا جمهورية مصر العربية.

ولدت في قرية البياضية مركز ملوي محافظة المنيا من والدين نصرانيين أرثوذكس زرعا في نفوسنا ونحن صغار الحقد ضد الإسلام والمسلمين.

حين بدأت أدرس حياة الأنبياء بدأ الصراع الفكري في داخلي وكانت أسئلتي تثير المشاكل في أوساط الطلبة مما جعل البابا (شنودة) الذي تولّى بعد وفاة البابا (كيرلس) يصدر قرارًا بتعييني قسيسًا قبل موعد التنصيب بعامين كاملين لإغرائي وإسكاتي فقد كانوا يشعرون بمناصرتي للإسلام مع أنه كان مقررًا ألا يتم التنصيب إلا بعد مرور ٩ سنوات من بداية الدراسة اللاهوتية. ثم عيّنت رئيسًا لكنيسة المثال المسيحي بسوهاج ورئيسًا فخريًا لجمعيّات خلاص النفوس المصريّة (وهي جمعيّة تنصيريّة قويّة جدًّا ولها جذور في كثير من البلدان العربية وبالأخص دول الخليج) وكان البابا يغدق عليّ الأموال حتّى لا أعود لمناقشة مثل تلك الأفكار لكنّي مع هذا كنت حريصًا على معرفة حقيقة الإسلام ولم يخبو النور الإسلامي الذي أنار قلبي فرحًا بمنصبي الجديد بل زاد، وبدأت علاقتي مع بعض المسلمين سرًا وبدأت أدرس وأقرأ عن الإسلام.

وطُلب منّي إعداد رسالة الماجستير حول مُوَازنة الأديان وأشرف على الرسالة أسقف البحث العلمي في مصر سنة ١٩٧٥، واستغرقت في إعدادها أربع سنوات وكان المشرف يعترض على ما جاء في الرسالة حول صدق نبوة الرسول محمد ﷺ وأميته وتبشير المسيح بمجيئه. وأخيرًا تمّت مناقشة الرّسالة في الكنيسة الإنكليكيّة بالقاهرة واستغرقت المناقشة تسع ساعات وتركزت حول قضيّة النّبوّة والنّبي ﷺ علمًا بأن الآيات صريحة في الإشارة إلى نبوّته وختم النّبوّة به.

وفي النهاية صدر قرار البابا بسحب الرسالة منّي وعدم الاعتراف بها. أخذت أفكر في أمر الإسلام تفكيرًا عميقًا حتّى تكون هدايتي عن يقين تام، ولكن لم أكن أستطيع الحصول على الكتب الإسلامية فقد شدّد البابا الحراسة عليّ وعلى مكتبتي الخاصّة.

ولهدايتي قصة:

في اليوم السادس من الشهر الثامن من عام ١٩٧٨م كنت ذاهبًا لإحياء مولد العذراء بالإسكندريّة، أخذت قطار الساعة الثالثة وعشر دقائق الذي يتحرك من محطة أسيوط متجهًا إلى القاهرة وبعد وصول القطار في حوالي الساعة التاسعة والنصف تقريبًا ركبت الحافلة من محطة العتبة رقم ٦٤ المتجهة إلى العباسيّة وأثناء ركوبي في الحافلة بملابسي الكهنوتية وصليب يزن ربع كيلو من الذهب الخالص وعصاي الكريز صعد صبيّ في الحادية عشر من عمره يبيع كتيبات صغيرة فوزعها على كلّ الركّاب ماعدا أنا، وهنا صار في نفسي هاجس لم كل الركاب إلا أنا، فانتظرته حتّى انتهى من التوزيع والجمع فباع ما باع وجمع الباقي قلت له: «يا بنيّ لماذا أعطيت الجميع بالحافلة إلا أنا». فقال: «لا يا أبونا أنت قسيس».

وهنا شعرت وكأنّني لست أهلًا لحمل هذه الكتيّبات مع صغر حجمها ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ (الواقعة:٧٩)، ألححت عليه ليبيعني منهم فقال: «لا دي كتب إسلاميّة» ونزل، وبنزول هذا الصّبي من الحافلة شعرت وكأنّني جوعان وفي هذه الكتب شبعي وكأنّني عطشان وفيها ريي. نزلت خلفه فجرى خائفًا منّي فنسيت من أنا وجريت وراءه حتّى حصلت على كتابين.

عندما وصلت إلى الكنيسة الكبرى بالعبّاسيّة «الكاتدرائيّة المرقسيّة» ودخلت إلى غرفة النّوم المخصّصة بالمدعوّين رسميًّا كنت مرهقًا من السفر، ولكن عندما أخرجت أحد الكتابين وهو (جزء عم) وفتحته وقع بصري على سورة الإخلاص فأيقظت عقلي وهزت كياني. بدأت أرددها حتى حفظتها وكنت أجد في قراءتها راحة نفسية واطمئنانًا قلبيًا وسعادة روحية، وبينا أنا كذلك إذ دخل عليّ أحد القساوسة وناداني: «أبونا إسحاق»، فخرجت وأنا أصيح في وجهه: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ دون شعور منّي.

على كرسي الاعتراف:

بعد ذلك ذهبت إلى الإسكندريّة لإحياء أسبوع مولد العذراء يوم الأحد أثناء صلاة القداس المعتاد وفي فترة الراحة ذهبت إلى كرسي الاعتراف لكي أسمع اعترافات الشعب الجاهل الذي يؤمن بأن القسيس بيده غفران الخطايا.

جاءتني امرأة تعض أصابع الندم، قالت: «إني انحرفت ثلاث مرات وأنا أمام قداستك الآن أعترف لك رجاء أن تغفر لي وأعاهدك ألا أعود لذلك أبدًا».

ومن العادة المتبعة أن يقوم الكاهن برفع الصليب في وجه المعترف ويغفر له خطاياه. وما كدت أرفع الصليب لأغفر لها حتى وقع ذهني على العبارة القرآنية الجميلة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فعجز لساني عن النطق وبكيت بكاءً حارًّا وقلت: «هذه جاءت لتنال غفران خطاياها منّي فمن يغفر لي خطاياي يوم الحساب والعقاب».

هنا أدركت أن هناك كبير أكبر من كل كبير، إله واحدٌ لا معبود سواه. ذهبت على الفور للقاء الأسقف وقلت له: «أنا أغفر الخطايا لعامة الناس فمن يغفر لي خطاياي». فأجاب دون اكتراث: «البابا». فسألته: «ومن يغفر للبابا»، فانتفض جسمه ووقف صارخًا وقال: «أنت قسيس مجنون واللي أمر بتنصيبك مجنون حتّى وإن كان البابا لأننا قلنا له لا تنصّبه لئلاّ يفسد الشعب بإسلاميّاته وفكره المنحل».

بعد ذلك صدر قرار البابا بحبسي في دير «ماري مينا» بوادي النطرون.

كبير الرهبان يصلّي: أخذوني معصوب العينين وهناك استقبلني الرهبان استقبالًا عجيبًا كادوا لي فيه صنوف العذاب علمًا بأنّني حتّى تلك اللحظة لم أسلم، كل منهم يحمل عصا يضربني بها وهو يقول: «هذا ما يصنع ببائع دينه وكنيسته». استعملوا معي كل أساليب التعذيب الذي لا تزال آثاره موجودةً على جسدي وهي خير شاهدٍ على صحّة كلامي حتّى أنّه وصلت بهم أخلاقهم غير الإنسانية أنهم كانوا يدخلون عصا

المقشّة في دبري يوميًّا سبع مرّات في مواقيت صلاة الرهبان لمدّة سبعة وتسعين يومًا، وأمروني بأن أرعى الخنازير.

وبعد ثلاثة أشهر أخذوني إلى كبير الرهبان لتأديبي دينيًا وتقديم النصيحة لي فقال: «يا بنيّ... إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملًا، اصبر واحتسب. ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب». قلت في نفسي ليس هذا الكلام من الكتاب المقدس ولا من أقوال القديسين. وما زلت في ذهولي بسبب هذا الكلام حتى رأيته يزيدني ذهولًا على ذهول بقوله: «يا بنيّ نصيحتي لك السر والكتمان إلى أن يعلن الحق مهما طال الزمان» تُرى ماذا يعني بهذا الكلام وهو كبير الرهبان.

ولم يطل بي الوقت حتى فهمت تفسير هذا الكلام المحيّر. فقد دخلت عليه ذات صباح لأوقظه فتأخر في فتح الباب، فدفعته ودخلت وكانت المفاجأة الكبرى التي كانت نورًا لهدايتي لهذا الدين الحق دين الوحدانيّة عندما شاهدت رجلًا كبيرًا في السنّ ذا لحية بيضاء وكان في عامه الخامس والستّين وإذا به قائمًا يصلي صلاة المسلمين (صلاة الفجر).

تسمرتُ في مكاني أمام هذا المشهد الذي أراه، ولكنّي انتبهت بسرعة عندما خشيت أن يراه أحد من الرهبان فأغلقت الباب. جاءني بعد ذلك وهو يقول: «يا بنيّ استر عليّ ربّنا يستر عليك»، أنا منذ ٢٣ سنة على هذا الحال غذائي القرآن وأنيس وحدتي توحيد الرحمن ومؤنس وحشتي عبادة الواحد القهّار الحقّ أحقّ أن يتّبع يا بنيّ».

بعد أيّام صدر أمر البابا برجوعي لكنيستي بعد نقلي من سوهاج إلى أسيوط، لكن الأشياء التي حدثت مع سورة الإخلاص وكرسي الاعتراف والراهب المتمسّك بإسلامه جعلت في نفسي أثرًا كبيرًا، لكن ماذا أفعل وأنا محاصر من الأهل والأقارب وممنوع من الخروج من الكنيسة بأمر شنودة.

رحلة تنصيريّة: بعد مرور عام جاءني خطاب والمودع بالملف الخاص بإشهار إسلامي بمديرية أمن الشرقيّة ج.م.ع يأمرني فيه بالذهاب كرئيس للّجنة المغادرة إلى السودان في رحلة تنصيريّة فذهبنا إلى السودان في الأوّل من سبتمبر ١٩٧٩م وجلسنا به ثلاثة شهور وحسب التعليمات البابويّة بأن كلّ من تقوم اللجنة بتنصيره يسلّم مبلغ ٣٥ ألف جنيه مصريّ بخلاف المساعدات العينيّة فكانت حصيلة الذين غرّرت بهم اللجنة تحت ضغط الحاجة والحرمان خمسة وثلاثين سودانيًّا من منطقة واو في جنوب السودان. وبعد أن سلّمتُهم أموال المنحة البابويّة اتّصلت بالبابا من مطرانيّة أم درمان فقال:

«خذوهم ليروا المقدسات المسيحيّة بمصر (الأديرة)» وتم خروجهم من السودان على أساس عمّال بعقود للعمل بالأديرة لرعي الإبل والغنم والخنازير وتم عمل عقود صوريّة حتّى تتمكّن لجنة التنصير من إخراجهم إلى مصر.

بعد نهاية الرحلة وأثناء رجوعنا بالباخرة (مارينا) في النّيل قمت أتفقّد المتنصرين الجدد وعندما فتحت باب الكابينة ١٤ بالمفتاح الخاص بالطاقم العامل على الباخرة فوجئت بأن المتنصر الجديد عبد المسيح (وكان اسمه محمّد آدم) يصلّي صلاة المسلمين. تحدّثت إليه فوجدته متمسّكًا بعقيدته الإسلاميّة فلم يغريه المال ولم يؤثّر فيه بريق الدنيا الزائل. خرجت من عنده وبعد نحو الساعة أرسلت له أحد المنصّرين فحضر لي بالجناح رقم ٣ وبعد أن خرج المنصّر قلت له: «يا عبد المسيح لماذا تصلّي صلاة المسلمين بعد تنصّرك؟!»، فقال: «بعت لكم جسدي بأموالكم، أمّا قلبي وروحي وعقلي فملك الله الواحد القهّار لا أبيعهم بكنوز الدنيا وأنا أشهد أمامك بأن لا إله إلا الله وأنّ محمّد رسول الله».

بعد هذه الأحداث التي أنارت لي طريق الإيمان وهدتني لأعتنق الدين الإسلامي وجدت صعوبات كثيرة في إشهار إسلامي؛ نظرًا لأنّني قس كبير ورئيس لجنة التنصير في أفريقيا وقد حاولوا منع ذلك بكل الطرق؛ لأنه فضيحة كبيرة لهم. ذهبت لأكثر من

مديريّة أمن لأشهر إسلامي وخوفًا على الوحدة الوطنيّة أحضرتْ لي مديريّة الشرقيّة فريقًا من القساوسة والمطارنة للجلوس معي وهو المتّبع بمصر لكل من يريد اعتناق الإسلام.

هدّدتني اللجنة المكلّفة من ٤ قساوسة و ٣ مطارنة بأنها ستأخذ كلّ أموالي وممتلكاتي المنقولة والمحمولة والموجودة في البنك الأهلي المصري فرع سوهاج وأسيوط والتي كانت تقدّر بحوالي ٤ مليون جنيه مصريّ وثلاثة محلات ذهب وورشة لتصنيع الذهب بحارة اليهود وعمارة مكوّنة من أحد عشر طابقًا رقم ٤٩٩ شارع بور سعيد بالقاهرة فتنازلت لهم عنها كلّها فلا شيء يعدل لحظة الندم التي شعرت بها وأنا على كرسي الاعتراف.

بعدها كادت لي الكنيسة العداء وأهدرت دمي فتعرضت لثلاث محاولات اغتيال من أخي وأولاد عمّي، فقاما بإطلاق النّار عليّ في القاهرة وأصابوني في كليتي اليسرى والّتي تم استئصالها في ٧/ ١/ ١٩٨٧م في مستشفى القصر العيني والحادث قيّد بالمحضر رقم ١٧٦٢/ ١٩٨٦ بقسم قصر النّيل مديريّة أمن القاهرة بتاريخ ١١/ ١١/ ١٩٨٦م.

أصبحت بكلية واحدة وهي اليمنى ويوجد بها ضيق في الحالب بعد التضخم الذي حصل لها بقدرة الخالق الذي جعلها عوضًا عن كليتين. ولكن للظروف الصعبة الّتي أمر بها بعد أن جرّدتني الكنيسة من كل شيء والتقارير الطبّيّة التي تفيد احتياجي لعملية تجميل لحوض الكلية وتوسيع للحالب، ولأني لا أملك تكاليفها الكبيرة، أجريت لي أكثر من خمس عشرة عملية جراحيّة من بينها البروستات ولم تنجح واحدة منها؛ لأنها ليست العملية المطلوب إجراؤها حسب التقارير التي أحملها، ولما علم أبواي بإسلامي أقدما على الانتحار فأحرقا نفسيهما والله المستعان.